الحياة بعد الموت
ما هو الموت ؟
رأى السير اوليفر لودج

حديث الحياة بعد الموت ألذ الأحاديث ، ولا سيما إذا أنبأك به خبير يبنى ما يقول على أساس علمى . ومن هؤلاء الخبيرين السر أوليفر لودج العالم الطبيعى الانجليزى . وليس المراد بالطبيعى هنا ما يفهم عادة من هذه اللفظة ، أى العالم الدهرى المادى الذى ينسب الى الطبيعة الجامدة ما ليس لها ويحلها محلاً أرفع من العقل ، والذى شعاره وشعار طغمته « نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بل المراد بالطبيعى فى هذا المقال العالم الذى تفرغ لدرس نواميس الطبيعة وكشف النقاب عن أسرارها وحل ألغازها باتياً ذلك كله على البرهان العلمى

السير أوليفر لودج

رأيت للسر أوليفر لودج مقالاً فى مجلة انجليزية عنوانه « ما هو الموت » . وسأحاول تلخيصه بهذا المقال تاركا للقراء الحكم فيه وما يستسيغون منه

مهد لموضوعه بمقدمة وجيزة عن كون الموت موضوعاً يدخل الغم على النفوس لأنه سفر مجهول وفرقة لا لقاء بعدها على هذه الأرض . ثم قال ما خلاصته .

إذا شئنا أن نفهم ماهية الموت وجب أولاً أن نعرف ما هى الحياة . وتعريف الحياة ليس بالأمر السهل . فاننا نعرف شيئا عنها — نعرف أنها ليست صورة من صور الطاقة (energy) بل انها مبدأ للهداية والارشاد . وتستخدم لذلك الطاقة والمادة ولا يلوح أنها شىء طبيعى البتة

نحن نعيش فى قرن من الطاقة المنبثقة من نور الشمس ، ولنا قدرة على توجيهها وادارتها . والدليل على أن الحياة ليست طاقة هو أن فى وسع البذرة مثلاً أن تخرج أجيالاً لا يحصى عددها

والحياة تحدث أشياء لا يمكن أن تحدث بغيرها من الصدفة البحرية الى الكنيسة الكاتدرائية . وذلك بتداخلها هى والمادة ، وهذا التداخل أوجب تجهيزها بجسم مادى

وماذا نعنى بالجسم ؟ نعنى به طريقة للظهور أو أداة . فقد يكون للموسيقار موسيقى فى روحه ، ولكنه يحتاج الى آلة لاظهارها . فالجسم للنفس كالقيثارة للموسيقار

نحن بنينا الجسم طبقاً لأعمال طبيعية وبلا علم منا ، وصففنا دقائق الطعام على شكل خاص . ولا ريب أن للشكل معنى

والعنصر الطبيعى والعنصر العقلى متفاعلان . فهل يحتمل أن العنصر العقلى الذى يدبر ويريد ويرجو ويرسم الخطط ويحب ، محصور فى طريقة ظهوره وعمله وحركته ، ومقصور على مركب كيميائى معين ، وخصوصاً المركب المعروف باسم البيومن (المادة الزلالية التى توجد فيها نطفة الحياة أو البروتو بلازم) . فكرة على غاية من السخافة

إننا نعرف العنصر العقلى على هذه الصورة المعينة ، ولكن قد تكون له صور وأشكال لا عداد لها ونجهلها الآن

ونحن مجهزون بآلة نسميها الجسم ، وهذا الجسم مصنوع الآن من المادة . ومن السهل تصور صنعه من أشياء أخرى

فى الأندلس واستعاد منعته وبهاءه مدى حين ، أيام الناصر لدين الله ، ثم فى أيام الحاجب المنصور ؛ واضطرمت فورة الاسلام أيام المرابطين ، ثم الموحدين ؛ ولكنها كانت جميعاً فورات مؤقتة ، وكانت أسباب الانحلال التى سرت الى الدولة الاسلامية تعمل عملها ببطء ؛ ثم سطعت دولة الاسلام فى مملكة غرناطة الصغيرة مدى حين ، ولكن المعركة لم تكن متكافئة بعد ، وكانت مملكة قشتالة النصرانية تسير ثابتة مطمئنة الى تحقيق بغيتها الخالدة : استعادة الوطن القديم كله من يد الفاتحين ؟

محمد عبد الله عنان المحامى

ولـكن هذه العلاقة علاقة المادة بالعنصر العقلي أو النفسي الذي يتسلط عليها ويستخدمها يمكن فصلها وانهاؤها ، وهذا الفصل والانهاء هو الموت ، فالموت إذاً هو افتراق النفس عن الجسد ، ولـكنه ليس فناء وإضمحلالاً ، بل فرقة وخروجا عن « علمنا الحاضر »

ويقول البيولوجيون الذين درسوا هذه المسألة إن الموت ليس أمراً لازماً للجسم كله ، بل إن الخلايا الأخيرة خلايا التناسل لا تموت . والحيوينات الدنيا ذات الخلية الواحدة خالدة . فقد تقتل ولـكنها لا تموت بل تنقسم قسمين وأكثر ، وتبقى تنقسم وتستمر حية .

أما الأحياء العليا مثلنا ففيها خلايا أخرى غير الخلايا الخالدة ، وهذه الخلايا هي التي تموت . ولما كانت تزيد كثيراً على الخلايا الخالدة ، فانها تزول بالتفاعل الكيميائي الحادث في الجسم بعد انفصال الروح عنه ، وبذلك يزول الجسم أي أنه يتحول على طول المدى . وقد عرف الشعراء ذلك فقال شكسبير :

« أضجعت هنا في الارض ، ولتنبت أزهار البنفسج الربيعية من لحمها الجميل غير الفاسد »

وقال تنيسن : وليصنع من رماده بنفسج بلاده »

لـكن الميت ليس هنالك ، بل هو ذلك الذي مر في الجسم ورحل . فلا نخش لفظة الموت . ولا فائدة من القول أن لاموت . بل الموت موجود والمسألة مسألة تفسير وتأويل ، فاذا قلت أن لاموت عنيت أن لافناء . اذ الموتى لم يموتوا ، بل لايزالون أحياء عند ربهم يرزقون كما قال تنيسن ، وليست حياتهم الثانية كالحياة الأولى ولـكنها حقيقية مثلها

يخبرنا الذين رحلوا عنا (يشير الى ابنه رايموند الذي قتل في الحرب وقال انه ناجاه وكتب مجلداً كبيراً عنه وعن مناجاة الأرواح) بأن لهم أجساماً غير عادية ، لـكنها محسوسة وجامدة مثل الاجسام الأولى بل أحسن منها .

ويقولون إنهم مسرورون ، وانهم لا يحبون العودة الى الارض مهما أعطيتهم . وانهم حولنا وأكثر دخولاً وخروجاً معنا مما يخيل الينا . وكل ما هنالك أنهم لايقعون تحت حواسنا

الحياة متصلة غير منقطعة ، والموت لايغير أحوال هذا الـكون لانه شيء داخلي يتعلق بالفرد ، وليس الموت سوى تغيير في نظره الى الـكون وفي ادراكه لما فيه . فقد كان يدرك نظاماً معيناً فاذا مات أدرك نظاماً آخر . ونحن نسمي ماوراء القبر العالم الثاني أو الحالة المستقبلة ، وأما الـكون فواحد ولـكن هناك حاجزاً . ونحن نعرف الآن ونُعرف على جانب من هذا الحاجز ، فاذا متنا عرفنا الجانب الآخر وعُرفنا فيه . وربما عُرفنا ماهناك وعرفنا بجلاء لا يقل عما نعرف ونُعرف هنا

ان في الـكون عالماً آخر بل قد تـكون هناك عوالم كثيرة غير التي قدرت لنا معرفتها ، وليس عالم حواسنا سوى جزء صغير من ذلك الفلك الدار

وقد تسألني : وكيف عرفت أن أولئك الراحلين لايزالون باقين . فأجيبك بأني لا أرتاب في ذلك لأني أتصل بهم كثيراً . وأنت لا تستطيع أن تشك في وجود الذين تخاطبهم بالتليفون أو اللاسلـكي . وليست الحياة شيئاً يفنى ولـكنها تظهر بمظاهر شتى ، وهذه الحياة الدنيا هي أحد تلك المظاهر

وسنلبس في العالم الآخر اجساداً ونتخذ أشكالاً يمكننا التعارف بها . واذا نظرنا الى المسألة بعين العلم الباردة (أي الخالية من العواطف) وجدنا أن هناك حقائق كثيرة تؤيد البقاء بعد الموت ، وأنا مقتنع بها بالبرهان التدريجي . ولست أنتظر أن يؤمن كل أحد على قولي هذا ، ولـكنني أؤكد تأكيداً علمياً أن الحياة شيء دائم ، وانها والمادة تتداخلان زمناً وتتفاعلان ، ثم تطلق المادة الى محيط آخر وبيئة أخرى

وتسألني هل الحياة القادمة أكثر سعادة من الحياة الحاضرة ؟ فأجيبك بأن ذلك يتوقف على ما نصنع هنا ، وعلى انتهازنا للفرص التي تعرض لنا في هذه الحياة .

ولقد تعودنا المظهر المادي هنا حتى بات يصعب علينا تصور مظهر آخر ، بل ان بعضنا لا يستطيعون أن يتصوروه . أما أنا فأستسهل هذا التصور ، لأننا في علم الطبيعة نبحث في أشياء كثيرة لاتقع تحت الحس ، ولـكنها مع ذلك حقيقية كالتي نشعر بها بحواسنا ، بل ربما كانت أقرب الى الحقيقة منها . فاننا جعلنا نحلل المادة وندرس طبيعتها حتى ليصح القول أننا مع كثرة تحليلنا لها نكاد لا نعرف شيئاً عنها